التسجيل الحديث للآثار المصرية القديمة

[مثل الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى مؤتمر الآثار الثانى للدول العربية ، الدكتور محمد جمال الدين مختار المدرس بكلية المعلمين بالقاهرة وألقى سيادته على المؤتمرين هذا البحث]

استرعى نظرى بين قرارات المؤتمر الأول للآثار الذى عقدته الإدارة الثقافية للجامعة العربية فى دمشق فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ الفقرة رقم ١٢ ومنطوقها « أن تُتبادل المطبوعات في الآثار والصور ونماذج التحف والخرائط وغير ذلك بين الدول العربية .

هذه الفقرة تشعرنا باهتمام دول الشرق العربى العريقة الحضارة بتاريخ وآثار بعضها البعض . ولكن فى الوقت نفسه كان يجب أن يسبق أو يزامل هذه الفقرة ، فقرة أخرى تنص على الاهتمام بتسجيل تلك الآثار ووضعها فى وثائق ومستندات يسهل تداولها بعد طبعها . والواقع أن المؤتمر الأول للآثار لم يتعرض لموضوع تسجيل الآثار فى قراراته رغم الأهمية الكبرى للتسجيل الآن فى النواحى العلمية والفنية بل القومية كذلك .

ولما كانت مصر قد بدأت فعلا فى تسجيل آثارها على نطاق واسع وبطريقة علمية حديثة ، واختارت الآثار الفرعونية كخطوة أولى يليها خطوات أخرى تتناول تسجيل آثار العصور الحضارية التالية فقد عن لى أن أتحدث عن تسجيل الآثار الفرعونية فى مصر وما بذل من جهد فى هذا السبيل .

* * *

وليس تسجيل الآثار الفرعونية بالأمر الجديد على مصر فقد استصحب نابوليون معه أثناء حملته على مصر بعض علماء الآثار الذين عكفوا على تسجيل الآثار المصرية . وقد ظهر هذا التسجيل فى أجزاء من كتاب « وصف

مصر» "Description del' Egypte" الذى طبع فى باريس بعـــد ذلك ببضع سنوات .

وقد نشطت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حركة جديدة لتسجيل النقوش والرسوم ووصف الآثار تتمثل فى نشاط بعثة « روزلّينى Rosellini » الإيطالية وبعثة « ليبسيوس Lepsius البروسية .

ثم توالت بعد ذلك البعثات العلمية التى أعطيت حق التنقيب فى مصر فسجلت معظم ما كشفت عنه من آثار فى مطبوعاتها وتقاريرها .

• • •

ولكن إزاء الحالة السيئة التى آلت إليها بعض المعابد والآثار الأخرى نتيجة لفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والمؤثرات الجوية ، وخاصة بعد أن أزيلت الرمال التى كانت تحمى تلك الآثار ، أو نتيجة لفعل الإنسان كالتخريب والسرقة والتهريب والحروب أو لتعميم نظام الرى الدائم وارتفاع درجة الرطوبة فى المناطق الأثرية أو بسبب تنفيذ بعض مشروعات الرى التى تغمر الآثار بالمياه — نتج عن كل هذه العوامل منفردة أو مجتمعة أن شوهت أو ضاعت بعض معالم تلك الآثار وتآكل الكثير من نقوشها وصورها ، فرأت الحكومة المصرية أنها إن لم تستطع أن تنقذ بعض هذه الآثار فلا أقل من أن تسرع فى تسجيلها بالتصوير والرفع الهندسى . . .الخ ويكون هذا التسجيل مرجعاً وسجلا لكل باحث .

* * *

وقد عقد فى ابريل سنة ١٩٥٥ اتفاق بين الحكومة المصرية وهيئة اليونسكو ، التى تهتم بحماية الآثار والتراث الإنسانى الثقافى ، على التعاون فى تسجيل الآثار المصرية وما عليها من نصوص ونقوش ثم رصده فى سجلات خاصة وذلك عن طريق إنشاء مركز خاص لتسجيل الآثار ودراسة

الحضارة المصرية ، يتخصص فى هذا العمل ويعمل على المحافظة على هذه الوثائق والاستمرار فى جمعها وتبادلها مع الهيئات العلمية فى البلاد الأخرى .

وقد نص فى المادة الأولى من هذا الاتفاق على تعهد الحكومة المصرية بإنشاء هذا المركز ، ونص فى مادته الثانية على أغراض إنشائه وهى قيامه بالتسجيل الفوتوغرافى والكتابى لتاريخ الفن والمدنية المصرية القديمة ومساعدة العلماء المصريين والأجانب للذين يرغبون فى الدراسة . ونصت المادتان الثالثة والرابعة على طريقة إدارة المركز وذلك بإنشاء مجلس لإدارته محدد تشكيله واختصاصاته بمقتضى لائحة تضعها الحكومة المصرية . وتتعهد هيئة اليونسكو بمقتضى المادة الخامسة من المشروع بتقديم الأجهزة والأدوات اللازمة للمركز كما تمده بالخبراء والمستشارين وحـــددت الاعتمادات اللازمة لذلك .

* * *

وبذلك ظهر للوجود مركز تسجيل ودراسة تاريخ الفن والحضارة المصرية القـــديمة Centre de Docamantation et d'Etudes sur l'Histoire de l'Art et de la Civilization de l'Egypte Ancienne ويشرف على هـــذا المركز الدكتور أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس ويضم الأقسام الآتية :

١ – القسم العلمى ويعمل به عدد من الأثريين قد يكون قليلا للآن ولكنه سوف يستكمل مع الزمن ، كما أنه يستعين بجهود الخبراء من جميع الدول وكذا بالإخصائيين فى وقت فراغهم .

٢ – القسم الهندسى ويعمل به مهندسون متخصصون .

٣ – أقسام التصوير والرسم والنماذج ويعمل بها مصورون ورسامون وفنانون متخصصون .

٤ – القسم الإدارى ويقوم بالأعمال الإدارية والتجارية والكتابية .

وقد رأي المجلس الأعلى للآثار فى ١٩٥٤/١١/٢٣ أمام عزم الحكومة على تنفيذ مشروع السد العالى ، وما سيترتب على ذلك من غرق معابد وآثار بلاد النوبة البدء فوراً فى تسجيل آثار النوبة ، وقد بدأ المركز فى تسجيل آثار تلك المنطقة قبل آثار طيبة التى كان مزمعاً البدء بها . وقد أوفدت البعثات إلى النوبة فى أربع مواسم قضتها فى تسجيل معابد أبو سنبل – كلابشة – دابود .

وقد تقدم التسجيل ووسائل نقل النقوش بعد أن حسنت الاختراعات الحديثه أساليبه وزادت من إمكانياته . ويقوم مركز تسجيل الآثار الآن بأنواع من التسجيلات معتمدا على الآثار القائمة ومستعينا بالوثائق القديمة ، نذكر من هذه التسجيلات :

١ – التسجيل الفوتوغرافى العادى والملون .

٢ – التسجيل الفوتوجرامترى أى أخذ صور الأثر بحيث يمكن عرضه مجسما مع إظهار مدى البروز والانخفاض فى السطوح . وهى طريقة دقيقة للغاية ، كانت قاصرة على الخرائط الطبيعية والطبوغوافيه وتسخدم الآن لأول مرة فى تسجيل الآثار المصرية . ويستخدم فى هذا النوع من التسجيل جهاز التقاط للصور (كاميرا) لها عدستان وذات بعدين Two Dimensions وهى تلتقط الصور من أبعاد معينة وتخرج صوراً مزدوجة Double يمكن رسم خطوط كنتورية عليها بواسطة جهاز خاص .

وهذه الصور من الدقة بحيث يمكن الاستفادة بها فى رسم المسطحات والتفاصيل المعمارية كما يمكن الاعتماد عليها فى أى وقت لعمل نماذج مجسمة دقيقة بآلة خاصة . هذا علاوة على أنها تفيد فى عرض الاثر مجسما كما هو فى الطبيعة . وهى فوق هذا تعين الاخصائيين على التعمق فى دراسة وسائل البناء التى اتبعها البناء القـــديم ووسائل نحت التماثيل وخاصة فيما يتعلق بتشكيل ملامح الوجه .

وسوف يرسل مركز تسجيل الآثار هذا العام بعثة للتخصص فى التصوير الفوتوجرامترى حتى يمكن الاعتماد على المصريين فى هذه الناحية كما تهتم كليات الهندسة بالجامعات المصرية بهذا النوع من التصوير .

٣ ــ نسخ النصوص الهيروغليفية وبحثها .

٤ ــ شف بعض الرسوم والمناظر المنقوشة والمرسومة .

٥ ــ رفع المعابد ورسم قطاعاتها ومساقطها .

٦ ــ عمل نماذج مجسمة لأهم المناظر والنقوش بالجبس أو غيره من المواد .

٧ ــ عمل نماذج مصورة (ماكيتات) للمعابد الهامة والأبنية المعمارية .

٨ ــ رسم الخرائط التوضيحية للمواقع والأماكن .

٩ ــ تنسيق هذه التسجيلات ودراستها ثم نشرها .

١٠ ــ وعلاوة على هذه التسجيلات المختلفة يعنى المركز بإصدار كتيبات للثقافة العامة وقد أصدر منها فعلا كتيبين عن (فيلة) و (أبو سنبل) باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية حتى يمكن للناطقين بالعربية والأجانب الاستفادة منها كمصدر مبسط ولكنه دقيق يمكن الاعتماد عليه .

وسيعنى المركز فى المستقبل القريب بعمل لوحات تعليمية وأفلام ثقافية وشرائح زجاجية Slides لموضوعات معينة يمكن الاستفادة بها فى التدريس وفى المحاضرات العامة .

وعندما تتم للمركز تسجيلات كافية سيعمد إلى تسجيلها على أفلام صغيرة بطريقة الميكروفيلم لحفظها كوثيقة يرجع إليها عند الحاجة وعلى سبيل الاحتياط ، وقد أخذ بهذه الطريقة فى مصر سنة ١٩٥٠ حينما صورت مخطوطات دير سانت كاترين بشبه جزيرة سينا ، وهو المشروع الذى تم إنجازه بتعاون جامعة كاليفورنيا مع جامعة الإسكندرية .

وهذه التسجيلات والوثائق بأنواعها المختلفة سوف تكون مرجعا

للمختصين والدارسين وخير عون للأساتذة فى بحثهم وفى شرحهم . كذلك سيكون تسجيل الآثار وسيلة من وسائل التعليم الثقافى لأبناء البلاد ومصدراً لتزودهم بتاريخ الحضارة المصرية ووسيلة لتزكية الروح الفنيه ، وهو فى نفس الوقت إعلان عن عظمة مصر وضمان لتقدم دراسة تاريخ الفن والمدنية المصرية القديمة .

هكذا يتضح لنا مدى أهمية وفائدة تسجيل الآثار مما يحتم على الدول العربية الاهتمام بتسجيل Registration وتوثيق Documentation آثارها الخالدة ثم تبادل هذه التسجيلات والوثائق .

محمد جمال الدين مختار